العقلانية التواصلية عند هابرماس

The communicative rationality of Habermas

بن لحرش زينة[1]
جامعة باتنة1
مخبر حوار الحضارات والعولمة
zina.benlahreche@univ-batna.dz

تاريخ الوصول 2021/01/06 القبول 2021/08/05 النشر على الخط 2021/12/15
Received 06/01/2021 Accepted 05/08/2021 Published online 15/12/2021

ملخص:

انتهت الحداثة الأوروبية حسب هابرماس إلى ما يعرف بالعقل الأداتي ، وهذا العقل أدانته كل التيارات المضادة للمشروع الحداثي، وانطلاقا من هذا حاول هابرماس تأسيس عقل جديد يقوم على الاتفاق، بعيدا عن الضغط والتعسف، هدفه الوصول إلى المساواة داخل فضاء عام ينتزع فيه الفرد جانبا من ذاتيته ويدمجها في الجماعة، وهنا يتحول البحث من مجال العقلانية الأداتية القائمة على السيطرة إلى مجال العقلانية التواصلية القائمة على الحوار والتقرب من الآخر، من أجل احترام الجوانب الانسانية ،وتكمن أهمية هذا البحث في أن هابرماس أراد تفجير الطاقة الإبداعية لعصر التنوير مؤكدا أن الحداثة مشروع لم ينته بعد.

ولقد توصلنا إلى مجموعة من النتائج منها : أن فلسفة الوعي كانت متمركزة على الذات وأهملت الآخر، وينبغي إكمال فلسفة الحداثة بالعقل التواصلي الذي يقوم على التواصل والحوار والاتفاق، وللغة دور أساسي في عملية التواصل.

الكلمات المفتاحية: الفعل التواصلي؛ الحوار؛ اللغة؛ فلسفة الحداثة .

Abstract:

European modernity, according to Habermas, ended in what is known as instrumental reason, and this mind was condemned by all counter-currents of the modernist project, and on this basis Habermas tried to establish a new mind based on agreement, away from pressure and arbitrariness, whose goal is to reach equality within a public space in which the individual takes away from his personality And he merges them in the group, and here the research turns from the field of instrumental rationality based on control to the field of communicative rationality based on dialogue and getting closer to the other, in order to respect the human aspects, and the importance of this research lies in the fact that Habermas wanted to explode the creative energy of the Enlightenment, affirming that modernity is an endless project. distance.

We have reached a set of conclusions, including: that the philosophy of consciousness was self-centered and neglected the other, and the philosophy of modernity should be complemented by the communicative mind that is based on communication, dialogue and agreement, and language has a fundamental role in the communication process.

Keywords: communicative action; Discussion; Language; philosophy of modernity.

[1]– المؤلّف المراسل: بن لحرش زينة البريد الإلكتروني: zina.benlahreche@univ-batna.d

مقدمة:

إن الدارس للفلسفة المعاصرة يلاحظ أن كثيرا من فلاسفتها يعتبرون الفلسفة التي سبقتهم مجرد فلسفة تأملية ذاتية تجاوزها الفكر، وذلك لعدم قدرتها على مسايرة التطور الحاصل في مجال العلم والواقع ، واعتبروها عائقا وجب تجاوزه وقطع الصلة به ، ولذلك اهتمت الفلسفة المعاصرة بالإنسان كثيرا ، من خلال تفسير أزمته ومعاناته ، واقتراح بدائل تمكنه من فهم ذاته والتعايش مع واقعه والنظر إلى مستقبله، ومن بين هؤلاء الفلاسفة نجد يورغن هابرماس* الذي يعتبر من أبرز أعلام النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ، الذي اتخذ من النقد مبدأ أساسيا في مشروعها الفلسفي ، إلا ان نظرية هابرماس النقدية أخذت طابعا جديدا هو التواصل أو ما يسميه بالعقلانية التواصلية ، التي تحمل في طياتها معايير أخلاقية وسياسية قصد تكوين عقلانية متوازنة بين العقلانية الأداتية والعقلانية التواصلية وعلى هذا الأساس نتساءل:

كيف استخدم هابرماس طابع التواصل لإتمام مشروع الحداثة الغربي؟

وما هو دور اللغة في هذا المشروع؟

أولا. من العقلانية الأداتية إلى العقلانية التواصلية:

يشخص هابرماس الحداثة الأوربية في ضوء تحديدات ماكس فيبر بأنها عقلانية أداتية، وقد لخص هذا الأخير مميزات أوربا تحت مفهوم العقلنة والعقلانية التي تجلت في ازدياد الحسابية والبحث عن الربح، السيطرة المنظمة على كل جوانب الحياة الإنسانية على أساس قواعد قللت من الاعتماد على القيم المتوارثة، فقد بيّن فيبر وجود تفاعل بين الأخلاق الدينية البروتستانتية ونشأة الرأسمالية[1]، فالرأسمالية ليست فقط نتيجة لفعل التراكم المادي عن طريق قوى الإنتاج بل أيضا نتيجة للتحرر الديني.

اتخذ ماكس فيبر موقفا شكّيا من مظاهر الحداثة الأوربية، ومن ثم من إشكالية العقلانية باعتبارها دعامة محورية من دعائم التفكير الفلسفي، فإذا كانت العقلانية قد مكّنت الإنسان من أن يمارس رقابة ناجحة على الطبيعة، فإنها لم تمكنه من ذلك بل أغرقته في عالم الحس فقط، إذ أنها لم تستطع ملء الفراغ الذي نتج عن استبعادها للأسطورة والمقدس، فالعالم الخالي من الإحساس يؤدي بحسب فيبر للتخلي عن القيم[2].

---

* **يورغن هابرماس** فيلسوف وعالم اجتماع ألماني معاصر (1929 -) يعتبر من أهم علماء الاجتماع والسياسة في عالمنا المعاصر، يعد من أهم منظري مدرسة فرانكفورت النقدية له ازيد من خمسين مؤلفا يتحدث عن مواضيع عديدة في الفلسفة وعلم الاجتماع وهو صاحب نظرية الفعل التواصلي.

من أهم مؤلفاته:

- التحولات البنيوية للأوضاع الاجتماعية 196 - منطق العلوم الاجتماعية 1967
- نحو مجتمع عقلاني 1967 -التكنولوجيا والعلم كايديولوجية1968
- المعرفة والمصالح البشرية1968 - " التواصل وتطور المجتمع 1976
- الوعي الأخلاقي والفعل التواصلي 1983 -الخطاب الفلسفي للحداثة 1985

[1] محمد عابد الجابري، نظريات التواصل، دار الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت،ط1، 2010، ص146.

[2] عمر مهيبل، إشكالية التواصل في الفلسفة العربية المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 ،2005، ص346.

ومن هنا انطلق هابرماس إلى مفهوم جديد للعقلانية، فإذا كانت الحداثة الأوربية قد انتهت إلى ما يعرف بالعقل الأداتي الذي أدانته كل التيارات الفلسفية المضادة للحداثة، وتعالت الصيحات للتخلي عن العقل والفلسفة في موضوعها الأساسي العقل، وعليه جاءت دعوة هابرماس لتفعيل دور الفلسفة لتحقيق مصالح وغايات معينة، فالعقل التواصلي يبنى على فعل خلاق يقوم على الاتفاق وبعيدا عن الضغط والتعسف هدفه بلورة إجماع يعبّر عن المساواة داخل فضاء عام ينتزع فيه الفرد جانبا من ذاتيته ويدمجها إلى المجموع الجمعي الذي يقوم على التفاهم والتواصل* العقلي[1].

يظهر هابرماس كيفية تحويل مجالات البحث من العقلانية الأداتية إلى العقلانية التواصلية والتي تظهر من خلال العلاقة التي يقيمها الناس القادرين على الكلام وعلى الفاعلية عندما يتفقون على شيء معين، "فالعقل التواصلي هو درب آخر للخروج من فلسفة الذات"[2].

فالعقلانية التواصلية هي عقلانية جديدة لغتها الحوار والتقرب من الآخر، عكس العقلانية الأداتية التي لا تحترم الجوانب الإنسانية لأنها تؤكّد على جمع الأموال والفوز بالسلطة، ومن ثمة ينعتها هابرماس بالانغلاق الدوغمائية[3]، يقول هابرماس في كتابه القول الفلسفي للحداثة "إن نموذج فلسفة الذات قد أنهك تمام الإنهاك وأصبح غير قادر على مواكبة ما يشهده العصر من تحولات في شتى المجالات... مما يعني أنه آن الأوان بتغييره بنموذج آخر قادر على مواكبة تحولات الفكر... مما يعني الانتقال إلى نموذج البينذاتية حتى تختفي أعراض الإنهاك أو التعب فلن تكون هناك دعوة إلى صفاء العقل إلا داخل العقلانية التواصلية"[4].

إن هابرماس يريد للعقل أن ينتقل من الذاتية ليفتح آفاق البينذاتية والتواصل مع الآخر، إنه عقل ينبذ كل أنواع الفردانية والتسلط، والتأكيد على أهمية العقل باعتباره المنطلق الأساسي لأي نظرية في المجتمع، لذلك أراد هابرماس تفجير الطاقة الإبداعية لعصر التنوير باعتبار أن الحداثة مشروع لم يكتمل بعد، فإذا كان التطور الحديث كشف عن سلبيات العقلانية الأداتية، فإن هذا ليس مبررا كافيا للتخلي عن مشروع الحداثة، بل لابد أن تواصل المجتمعات الحديثة تطورها باستكمال هذا المفهوم الأداتي بإدخال البعد التواصلي في مفهوم العقلانية[5].

وبذلك "فالعقلانية التواصلية هي النموذج الذي يريد هابرماس عن طريقه إثبات أن الحداثة مشروع لم يكتمل بعد ولا يزال قادرا على الاستمرار"[6]، فهو يهدف من العقلانية التواصلية إلى وضع نظرية نقدية للمجتمع تقوم على أسس عقلانية .

---

* التواصل: عملية نقل معلومة أو خطاب من مرسل إلى مستقبل أو من باعث إلى متلق، الغاية منها تبليغ معلومة أو رسالة معينة إلى متلق معين، وتتم بواسطة قناة اتصال معينة، المرجع نفسه، ص15.

[1] عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي في القرن العشرين ،منشأة المعارف،ط1، ص99.

[2] يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، ترجمة: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ص ص351-356.

[3] فريدة غيوة، تأملات في القضايا الإنسانية المعاصرة والراهنة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة،ط1، 2004، ص166.

[4] يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، ص ص351-356.

[5] عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي في القرن العشرين، منشأة المعارف، ط1، 2002، ص96.

[6] أشرف منصور، نقد هابرماس لتيار ما بعد الحداثة، كتاب دوري، الكتاب 29، يصدر عن قضايا فكرية للنشر والتوزيع، مصر، 1999، ص465.

إذن هابرماس قام بتطوير مفهوم جديد للعقل مفهوم أكثر قوة وكفاءة وحداثة وهو العقل التواصلي، هذا العقل الذي يرتبط بالحداثة وتنتجه ويستفيد من معطيات العقل الأداتي ويطرح نفسه كبديل للممارسات العقلية والإجرائية[1].

ومن هنا يؤكد هابرماس على أن هذا العقل يتجاوز العقلانية الغربية التي أعلنت الأولوية المطلقة للعقل الغائي الذي يهدف للتفاعل والتفاهم الاجتماعي الذي أنهكه العقل الأداتي بطابعه الغائي الحسابي، لهذا لا يجب الاكتراث بإدانة العقل وتحطيمه وإعلان موته، بل يجب إعلان نموذج البينذاتية القادر وحده على تجاوز سيطرة العقل الحسابي، العقل المتمركز، لصالح "عقل تواصلي تتجاوز فيه الذات الضيقة... ليكون نسيجا من الذوات المتواصلة التي تتجاوز ذاتيتها، وتعلن انتمائها للمجتمع من خلال قابليتها للحوار والتفاهم والنقاش العقلاني"[2].

وهذا ما يقره كل من كارل أتو آبل* وهابرماس "النتيجة المباشرة لهذا المنعرج هو إزاحة نقطة أرخميدس عن مركزها التي أعلنها المحدثون، حيث يستبدل مركز جاذبية الصلاحية من الذاتية إلى البينذاتية"[3]. ويتلخص البديل الذي يطرحه هابرماس فيما يسمّيه بـ"العقلانية التواصلية والتي يتجاوز فيها فلاسفة ما بعد الحداثة، أو فلاسفة القرن العشرين النابذة لكل حوار مع الآخر، مثل فلسفة سارتر**، لذلك دعى هابرماس إلى العقلانية التواصلية بدل العقلانية العدائية السارترية"[4]، فهابرماس رغم انتمائه لزمن ما بعد الحداثة إلا أنه كان مخالفا لهم من الناحية الفكرية.

يرى هابرماس أنه "بدلا من التخلي عن الحداثة وعن مشروعها يجب علينا استخلاص الدروس من الضياع الذي مر به هذا المشروع، ومن الأخطاء التي وقع فيها من جراء مشاريع تجاوز مفرط"[5]، وبذلك فإن هابرماس يحاول أن يعيد الثقة لمشروع الحداثة التنويري وذلك بإعطائه فرصة أخرى، تمكننا من لم شتاته وإعادة بعثه من جديد، ومن هذا يقترح هابرماس إعادة استثمار وإحياء مشروع الحداثة في نموذج جديد، نموذج الفهم المتبادل الممكن بواسطة فلسفة اللغة، والتأكيد على أهمية العقل باعتباره المنطلق الأساسي لأي نظرية في المجتمع.

---

[1] أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2012، ص137.

[2] عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية، إشكالية التكون والتمركز حول الذات ، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1997،1، ص441.

* كارل أتو آبل: (1922-2017) فيلسوف ألماني معاصر زيل هابرماس في مدرسة فرانكفورت، مؤسس ما يعرف بالتداولية الترانسندنتالية (كارل أتو آبل، التفكير مع هابرماز ضد هابرماز، ترجمة وتقديم، عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1، 2005، ص8.)

[3] جان مارك فيري، فلسفة التواصل، ترجمة وتقديم: عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، لبنان،ط1، 2004، ص95.

** جان بول سارتر: (1905-1980) فيلسوف ورياضي وكاتب مسرحي فرنسي، ذو نزعة وجودية (فؤاد كامل، الموسوعة الفلسفة المختصرة، دار القلم، لبنان، ط1، 1999، ص238).

[4] فريدة غيوة، تأملات في الفلسفة الغربية المعاصرة، ص166.

[5] يورغن هابرماس، الحداثة مشروع ناقص، ترجمة: بسام البركة ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد39، مركز الانماء القومي، بيروت ،1996، ص48.

ثانيا. شروط تحقق التجربة التواصلية:

لا يريد هابرماس للنشاط التواصلي أن يتخبط في العشوائية، وإنما هو منظم لابد أن تحكمه شروط يجب أن تتوفر في المشاركين في التفاعل، ذلك أن الفعل التواصلي لا يكون مجرد فعل تتوجه به ذات منعزلة ولكنه مناقشة وحوار يتم بين مختلف الذوات الفاعلة أو بين ذاتين فاعلتين على الأقل، فالنشاط التواصلي هو حوار ومناقشة تدور بين ذوات فاعلة مختلفة، حوار تحكمه عدة شروط هي:

1- أن النشاط التواصلي لن يتم إلا من خلال علاقة تفاعل بين فردين أو أكثر، لذلك فمن حق كل شخص له القدرة على الكلام والفعل أن يشارك في التجربة التواصلية[1]، حيث "إن ما هو أساسي في نموذج التفاهم هو أن تدخل الأنا في علاقة بينذاتية تسمح بأن تنسب إلى ذاتها متبنية منظور الآخر بقدر ما تشارك في تفاعل"[2]، فالموقف يولّد تداخلا بين المشاركين في التفاعل في فهم لا يمكّنهم تجنب اتخاذ مواقف، إما بالإيجاب أو السلب... ذلك لأنه لا يمكنهم الوصول إلى إجماع ما إلا على أساس الاعتراف التذواتي لادعاءات الصلاحية[3].

2- أن تتم عملية التواصل من خلال اللغة التي تتم بواسطتها علاقة بين المشاركين في التفاعل وبين الذوات الأخرى باعتبارها الوسيط الأساسي في النشاط التواصلي وعن طريقها يتم الوصول إلى نوع من التفاهم بتوظيف العبارات بالجمل والتعبيرات التي يتلفظها أعضاء الجماعة المشاركة في التواصل سواءً كانوا متحدثين أو مستمعين[4]، يؤكد هابرماس أن التواصل باعتباره يقوم على اللغة فإنه يفترض سلامة لغة المتحدثين ووحدتها، وهذا ما أبرزه في كتابه المعرفة والمصلحة حيث يقول: "الالتزام المشترك للرموز ذاتها بالنسبة إلى مجموعة من الذوات التي تتواصل مع بعضها البعض في اللغة ذاتها"[5].

3- أن تهدف التجربة التواصلية إلى اتفاق بين الذوات المشاركة في التفاعل، ويفترض هذا الاتفاق وجود معرفة مشتركة بينهم أو على الأقل وجود نوع من التقارب في وجهات النظر وأن يتم الاعتراف المتبادل على ادعاءات الصلاحية من أجل الوصول إلى إجماع[6]، وادعاءات الصلاحية التي يقترحها هابرماس هي:

- المعقولية: تدخل على المعنى التداولي للعلاقة المتداخلة بين الأشخاص ويعبّر عنها بواسطة فضية ملفوظة.
- الحقيقة: أن نعترف بحقيقة الملفوظ الناتج عن أفعال كلام المتحدثين.
- الدقة: أن نعترف بدقة المعيار أي أن يكون استخدام الكلمات والعبارات متفقا مع السياق المعياري المتعارف عليه بواسطة فعل الكلام.
- الصدق: يجب أن لا نشك في صدق الذوات المشاركة في التفاعل[7].

---

[1] عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي في القرن العشرين، ص103.

[2] يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، ص ص455-456.

[3] J. Habermas, Logique des sciences sociales et autres essais, trad. Rainer Rochlitz, Puf, 6ème édition, Paris, 1998, p17.

[4] عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي في القرن العشرين، ص104.

[5] يورغن هابرماس، المعرفة والمصلحة، ص151.

[6] عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي في القرن العشرين ، ص104.

[7] J. Habermas, Logique des sciences sociales et autres essais, p286.

4- إذا تشكك أحد المشاركين في التواصل في الدقة المعيارية لتعبير ما، أو إذا تعرض أحد مزاعم الصدق للشك، أو لم يستطع المشاركون في التواصل تبريره أو الدفاع عنه بحجج عقلية، فإن ادعاءات الصلاحية نفسها تصبح موضع تساؤل وربما يختل التواصل، أو يتوقف، وفي هذه الحالة لابد للمشاركين في التواصل من إعادة فحص تلك الادعاءات من جديد ومراجعتها مراجعة نقدية لتصحيح أخطائها، ومعنى هذا أن العملية التواصلية تخضع لما يسمى ديمقراطية الحوار[1].

لذلك أكد هابرماس أن هذه الادعاءات قابلة للنقد لأنها تميّز مختلف مقولات معرفة متجسدة رمزيا في عبارات، ويمكن أن تحلل هذه العبارات على نحو أدق، وذلك من ناحيتين، أولا من ناحية الطريقة التي يمكن أن تبررها هذه العبارات وثانيا من ناحية الطريقة التي يستند الفاعلون إلى شيء ما في العالم عندما يستعملون هذه العبارات[2].

5- أن يتحرر الحوار من كل أشكال السيطرة والضغط التي يمكن أن تمارس عليه من الخارج، أي أن يكون حوارا حرا بين ذوات حرّة ومتكافئة في المكانة والمستوى لضمان موقف متباين للحديث.

6- أن يتاح لكل مشارك في الحوار الفرصة المتساوية لسائر المشاركين في التواصل، وأن يتمتع كل منهم بحق التأكيد والدفاع أو التساؤل حول ما يراه من قبول أو رفض الادعاءات الصلاحية وفق المعايير المعترف بها[3].

ثالثا. النظرية السوسيولوجية للفعل:

أراد هابرماس بناء نظرية للمجتمع تعرف بالنظرية السوسيولوجية للفعل التي تهتم بالتنسيق بين الأفعال وتدعو إلى ضرورة التحرر والابتعاد عن فلسفة الوعي، وانطلاقا من ذلك كان ضروريا بالنسبة لهابرماس أن يقترح أربعة مفاهيم للفعل لتكوين نظريته في المجتمع، والتي يحللها في العلاقات التي تربط بين الفاعل والعالم[4].

وقبل الحديث عن الأفعال التي أقرها هابرماس يجدر بنا الإشارة إلى مفهوم أو معنى الفعل عند هابرماس حيث يمكن فهمه، "باعتباره تحقيق لمشروع عملي ما، يتحكم الفاعل في وضعية الفعل تشكل جزءا من محيط الفاعل وهذا الجزء يتكون في ضوء إمكانيات الفعل، ذات الدلالة بالنسبة للمشروع العملي والمدرجة باعتبارها كذلك من طرف الفاعل"[5]، يقسّم هابرماس الفعل إلى أربعة مفاهيم هي:

1- الفعل الغائي: حيث "يمتد نموذج الفعل الغائي إلى النموذج الاستراتيجي عندما يدخل الفاعل فبحساب النتائج وانتظار قرار فاعل إضافي على الأقل يتصرف في سبيل هدف مقصود، وغالبا ما يفسر نموذج الفعل هذا بمعنى نفعي"[6] فهذا الفعل إذن يختار الوسائل والغايات من أجل تحقيق أكثر قدر من المنفعة.

---

[1] عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي في القرن العشرين ، ص104.

[2] يورغن هابرماس: العلاقة بالعالم ومظاهر عقلانية الفعل في أربعة مفاهيم سوسيولوجية للفعل، ترجمة جورج أبي صالح، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 46، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1987، ص18.

[3] عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي في القرن العشرين ، ص104.

[4] يورغن هابرماس: العلاقة بالعالم ومظاهر عقلانية الفعل في أربعة مفاهيم سوسيولوجية للفعل، ص18.

[5] محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة ، هابرماس نموذجا، افريقيا الشرق، المغرب، ط2، ص185.

[6] يورغن هابرماس: العلاقة بالعالم ومظاهر عقلانية الفعل في أربعة مفاهيم سوسيولوجية للفعل، ص23.

2- الفعل الذي توجهه وتنظمه المعايير:

وهو لا يشير إلى سلوك أفراد منعزلين يتلقون مصادفة بأفراد آخرين في محيطهم، وإنما يشير إلى سلوك جماعة مكونة من مجموعة أعضاء يشتركون في مجموعة من القيم، فالفرد الفاعل يعمل وفق معيار محدد، أو يخرق هذا المعيار، ويكون ذلك عندما تتوفر في موقف ما شروط معينة يمكن أن ينطبق فيها ذلك المعيار، والمعيار هو عبارة عن اتفاق يهدف داخل جماعة معينة[1]، حيث أن كل أعضاء الجماعة يعتقدون بصدق معيار ما آليا يتوقع كل واحد منهم أن يقوم بتنفيذ الأفعال المطلوبة أو الامتناع عنها عندما تحكم بذلك مواقف معينة حيث: "يتعلق مفهوم الفعل المضبوط بمعايير بسلوك فاعل منعزل مبدئيا، يجد فاعلين آخرين في عالمه المحيط به، إنما هو يعني بالعكس أعضاء فئة اجتماعية توجه فعلها حسب قيم مشتركة"[2].

3- الفعل المسرحي أو الدارامي:

ويتمثل في مجموعة من المساهمين في فعل مشترك، ويشترط في هؤلاء المساهمين أن يكون لهم جمهورا يعرضون عليه أنفسهم، فالفاعل هنا يثير في جمهوره صورة معينة، أو إحساسا معينا ويكون بالتعبير عن ذاتيته سواءً كان ذلك مقصودا أو غير مقصود يستغلون أفعالهم بإتاحة الفرصة للتعبير عما يريدون تبليغه أي التعرف على عوالم الذاتية وبالتالي فتقديم الذات لا يعني السلوك التلقائي التعبيري، بل التعبير المنظم عن تجربة الشخص الفردية[3]، حيث "إن مفهوم الفعل المسرحي لا يعني في البدء لا الفاعل المنعزل ولا عضو فئة اجتماعية معينة بل المشاركين في تفاعل ما، الذين يشكّلون بالتبادل بالنسبة لأنفسهم جمهورا يظهرون أمامه، فالفاعل يولّد لدى جمهوره انطباعا معينا، وصورة معينة عن نفسه يكشف ذاتيته عمدا تقريبا".

الفعل التواصلي: وهو يتعلق "بالفاعل بين شخصين على الأقل قادرين على التكلم والتصرف، يرتبطان بعلاقة بينشخصية... يسعى الفاعلون وراء تفاهم حول موقف عملي لكي ينسقوا بصورة توافقية، خطط عملهم وبالتالي أفعالهم"[4]، ومعنى هذا أنه فعل مشترك بين ذاتين على الأقل قادرين على الكلام والفعل وإقامة علاقة بينشخصية مشتركة لغوية كانت أو غير لغوية، فاللغة إذن تلعب دورا أساسيا في نظرية الفعل التواصلي، حيث يعتبر هذا الأخير (الفعل التواصلي) الفعل العقلاني الوحيد الذي يهدف إلى فهم حقيقي غلاّ أن الفرق الوحيد المميز عن الفعل الاستراتيجي هو أن هذا الفعل غير تنافسي لأنه عقلاني الصيغة قائم على التواضع ومدفوع بالفهم التعاوني البينذاتي الخالي من كل أنانية أو مصلحة ذاتية[5]، ففعل التواصل هو فعل لا أداتي يرمي إلى الفهم، فكل واحد من أصحاب هذا الفعل يسعى إلى فهمه وذلك من أجل تنسيق الأفعال بالتراضي والاتفاق فيما بينهم.

---

[1] عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي في القرن العشرين ، ص107.

[2] يورغن هابرماس: العلاقة بالعالم ومظاهر عقلانية الفعل في أربعة مفاهيم سوسيولوجية للفعل،ص23.

[3] عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي في القرن العشرين، ص108.

[4] يورغن هابرماس: العلاقة بالعالم ومظاهر عقلانية الفعل في أربعة مفاهيم سوسيولوجية للفعل، ص ص22-23.

[5] عادل مصطفى، فهم الفهم، مدخل إلى الهيرمينوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير، دار النهضة العربية، ط1،لبنان، 2003، ص302.

رابعا. اللغة والتواصل:

لقد تزايد اهتمام الفلاسفة المعاصرين باللغة، ليس فقط الفلاسفة التحليليين* الإنجليز من فلاسفة اللغة في أكسفورد وكمبردج، بل أيضا التيارات الفلسفية المختلفة، خاصة لدى فلاسفة الوجودية والهيرمينوطيقا مارتن هيدجر** وهانز جورج جادامير***، الذين دخل معهم هابرماس في نقاش جاد حول العديد من القضايا، حيث نجد للغة دورا رئيسيا في الفلسفة المعاصرة، فهي الشرط الأساسي لكل شيء يمكن أن يوجه إليه الفهم بنفسه بوجه عام[1].

لقد جعل هابرماس من مسألة اللغة أهم هاجس نظري وفلسفي ومن الحداثة العقلانية هدفا ومشروع حياة، لذلك فإنه اضطر إلى الحديث عن قضية التفاهم والمناقشة مع العلم أن هذه المستويات من التواصل قد يحصل فيها عكس ذلك بمعنى آخر أن ممارسة اللغة تفتح آفاقا يصعب تكهن حدوثها أحيانا، وبالتالي فإن اللغة تحتوي في ذاتها على إمكانية المعنى، كما تحتوي على احتمال التشويش عليه[2].

لذلك اشتغل هابرماس باللغة والقضايا اللسانية لأنه كما قال: "بدراسة التأويل والقضايا اللسانية اقتنعت بأن النظرية النقدية للمجتمع يجب أن تقطع مع الفلسفة الوعي التي ترفع مفاهيمها الأساسية إلى تراث كل من كانط وهيجل" أي أن هابرماس من أجل تأسيسه لنظرية جديدة للمجتمع حاول الانفصال مع فلسفة الوعي، كما أنه يؤكد أن فلسفة اللغة تعدّ الأساس الذي بنيت عليه نظريته في الفعل التواصلي بقوله: "أنا مدين لكل من النزعات التداولية والتحليلية للنظرية اللغوية، فإن غاية الفهم المتبادل مغروسة في الاتصال اللغوي"[3].

لذلك يؤكد هابرماس أن البعد المنسي أو اللامفكر فيه هو اللغة وبالضبط في بعدها التواصلي، والذي يجب أن يعاد له الاعتبار، وهذا ما أهملته الفلسفة المثالية التي انتهت إلى نموذج التواصل المشوه "إن ديالكتيك العلاقة الأخلاقية التي طوّرها هيجل تحت عنوان من أجل اعتراف بعيد تكوين القمع والعنف، إنه تواصل مشوه من خلال العنف"[4].

---

* الفلسفة التحليلية: التحليل هو فك المركب إلى أجزائه، والفلسفة التحليلية تعتمد على التحليل في معالجتها للقضايا الفلسفية (زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، مصر، ط1، 1998،ص203).

** هيدجر مارتن: (1889-1972) فيلسوف ألماني وجودي (بيتر كونزمان وفرانز فيدمان: أطلس الفلسفة ، ترجمة : جورج كتورة،ط2، المكتبة الشرقية،2007 ، ص208).

*** هانز جورج جادامير: (1900-2002) يعتبر أب التأويلية الحديثة، من أهم مؤلفاته الحقيقة والمنهج، دخل مع هابرماس في مجالات كثيرة أثرت على الفلسفة المعاصرة (هابرماس وآخرون، مسارات فلسفية، ترجمة محمد ميلاد، دار الحوار، سوريا، ط2004،1، ص165).

[1] أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل، ص159.

[2] محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة هابرماس انموذجا، ص72.

[3] J. Habermas, Op.cit, p3.

[4] يورغن هابرماس، العلم والتقنية كإيديولوجيا،ترجمة : حسن قص، منشورات الجمل ، سوريا ، ط1، 2003، ص14.

ويمكن القول بأن نظرية النشاط التواصلي بسبب تركيزها على اللغة والمنطق والخطاب فإنها تحمل في طياتها فلسفة للغة على أساس أن مفهوم العقلانية التواصلية ينطبق ويرجع إلى التجربة المركزية لقوة الخطاب البرهاني القادر على خلق اتفاق وإجماع بدون ضغوط أو إكراه[1].

وهذا ما أصبح يعرف باسم التداولية الشاملة فالعنصر المحوري لهذه اللتداولية هو اللغة، اللغة في بعدها الحواري، الخطابي والإدراكي الذي يجعل منها الأداة الأساسية للتواصل البينذاتي ومن ثمة أداة الفهم البينذاتي[2] لذلك.

حيث اعتبر اللغة هي الوسيط الأساسي الذي يتحقق فيه التفاهم "إننا إذا أردنا أن نفهم الفعل التواصلي علينا أن نفترض اللغة بوصفها الوسيط الذي يمكن أن يتحقق فيه نوع من التفاهم"[3]، وهذا ما أكده هابرماس بقوله: "إن اللغة تبقى الواسطة البينذاتية الوحيدة التي يمكن أن تتجسد في كل لحظة"[4].

لذلك يؤكد أن فهم اللغة يجب أن يكون وفقا لنموذج اجتماعي للقواعد، فالصفة المميزة والمضبوطة للغة هي السماح للتواصل بأن يحدث، أما عندما يخفق التواصل فإن هذا معناه أن هناك شكلا مرضيا لاستخدام اللغة[5].

1- التداولية الكونية:

اقترح هابرماس شروط للفعل التواصلي في منظومة تجريبية يطلق عليها اسم التداولية الكونية أو البراجماتيقا العامة، فهي كونية لأنها تصف معايير كونية شاملة، وهي تداولية بمعنى ما يتداوله ويستعمله الناس في تفاعلهم ونشاطهم الاجتماعين وبالتالي يجب فهم اللغة وفق نموذج إجماعي للقواعد[6].

ومن مهام البراجماتيقا العامة يؤكد هابرماس أنه يجب إعادة بناء الشروط العالمية لإمكان التفاهم، إنها عبارة عن فرضيات مسبقة عامة للتواصل، وهو من جهته كما يقول بفضل الحديث عن فرضيات مسبقة عالمية للنشاط التواصلي لأنه يعتبر أساسا نموذج النشاط التواصلي الذي يهدف إلى التفاهم البينذاتي[7].

لذلك يرى ضرورة تأسيس تداولية كونية عامة تحدد شروط صلاحية التبادل والتواصل، والاهتمام باللغة بوصفها فعلا لغويا تبادليا بجملة العلاقات الاجتماعية، مما يعني الاهتمام بالجوانب التعبيرية التواصلية للغة[8].

البراجماتيقا العامة عدّة ملامح وهي: القدرة على الكلام، الصورة المعيارية لفعل الكلام، الكلام المثالي، ويمكن أن نعرضها كالتالي:

---

[1] محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة هابرماس انموذجا ، ص222.

[2] جان مارك فيري، فلسفة التواصل، ص18.

[3] أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل، ص154.

[4] يورغن هابرماس، ايتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، ترجمة وتقديم: عمر مهيبل، ط1، منشورات الاختلاف، المغرب، 2010، ص ص51-52.

[5] جون ليشتة، خمسون مفكرا معاصرا، ترجمة فاتن البستاني ، بيت النهضة، لبنان، ط2008،1، ص381.

[6] جون ليشتة، خمسون مفكرا معاصرا، ص382.

[7] J. Habermas, Op.cit, p136.

[8] ابو النور حمدي أبو الحسن، الأخلاق والتواصل، ص151.

أ- صحة أساس الكلام: حيث يؤكد هابرماس أن اللغة والكلام يخضعان للتحليل الصوري وأن أي شخص يفعل بصورة تواصلية يجب عليه تأدية أي فعل من أفعال الكلام أن يثير دعاوي صحة عامة، أي يجب على المتحدث أن يختار تعبيرا مفهوما حتى يفهمه المستمع وأيضا يجب أن يكون لديه قصد توصيل قضية صادقة وأن يكون المتحدث مخلص في حديثه مع اختيار تعبير صحيح[1]، من أجل أن يفهم المتلقي أو المستقبل خطاب الباعث أو المرسل، وأن يفترض في خطابه إرادة أو نية طيبة أو خبرة وأن يقتنع بحقيقة الجمل أو العبارات المقترحة عليه[2].

ب- مفهوم القدرة والأداء: لقد اهتم هابرماس بدراسة اللغة في بعدها التواصلي، وطوّر مفهوم الكفاءة اللغوية إلى مفهوم الكفاءة التواصلية بحيث يؤكد على أن هذا يتطلب من المتحدث بجانب القدرة اللغوية قدرة أخرى وهي القدرة التواصلية[3].

ج- الصورة المعيارية لفعل الكلام: يرى هابرماس أن الأساس الذي يرتكز عليه استخدام أفعال الكلام هو القدرة المنتجة لأفعال الكلام، ففعل الكلام ينجح إذا حدثت علاقة بين المتحدث والمستمع، أي أن فعل الكلام يهدف إلى تأسيس علاقة تواصلية إيجابية بينهما[4]، حيث "إن المتحدث يمكن في تأدية فعل من أفعال الكلام أن يؤثر على المستمع بطريقة تجعله يُبني علاقة شخصية معه"[5].

د- الكلام المثالي: يرى هابرماس أن الموقف المثالي للكلام يتميز بعدم وجود مانع، مثل الضغط الذي يمكن أن يكون عائقا في عملية التواصل، وأن هناك تكافؤ بين الناس المشاركين في الكلام لفرض الاختيار والحديث، فالمساواة في تطبيق أفعال الكلام التواصلية هي أن جميع الناس المشاركين في الخطاب لديهم فرصا لتدعيم الحوار[6]، أي أن هابرماس يتعامل مع نموذج فيه متكلم باللغة مثالي وسامع مثالي[7].

2- التأويل والتواصل:

التأويل هو إيضاح مقاطع غامضة وغير مستوعبة من النصوص لأن المعنى الواضح لا يحتاج إلى تفسير أو تأويل، وقد يحتاج إلى التأويل ليكون معقولا، فنظرية التأويل تدور أساسا حول إيضاح وتفسير الأشياء لتصبح مفهومة ومعقولة، وهدف نظرية التأويل هو فهم صحيح للتجربة الإنسانية ككل[8].

---

[1] المرجع نفسه، ص159.

[2] الزواوي بغورة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2007، ص210.

[3] حسن مصدق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، النظرية النقدية التواصلية، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص12.

[4] الزواوي بغورة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، ص206.

[5] أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل، ص156.

[6] المرجع نفسه، ص163.

[7] جون ليشتة،خمسون مفكرا معاصرا ، ص383.

[8] عادل مصطفى، فهم الفهم، ص ص17-23.

إن مفهوم التأويل الذي تحدث عنه هابرماس ارتبط بحديثه عن التعبير بين أنواع المصالح التي تتحكم في عمليات المعرفة، ويتعلق الأمر هنا بالمصلحة العملية التي تحدد تفاعل البشر فيما بينهم أي تأويل أفعالنا تجاه البعض[1].

يعتبر هابرماس أن بنية اللغة هي أساسا تأويلية، إنها تدعو المشاركين إلى الإنهاك في التفسير وبذلك ترفع درجة الفهم الذاتي لكل شخص، إذ أن الفهم يستمد من تفاعله مع الآخرين، وهذه هي غاية اللغة بالذات كما يعتقد هابرماس[2].

فاللغة تبرر اهتمام كل من المتكلم والمستمع في فهم أحدهما الآخر أثناء التواصل "إنه من الواضح أن اللغة المتداولة تملك نية تسمح فعليا بجعل ما هو فردي قابلا للفهم في العلاقة الحوارية من خلال مقو لات عامة، وعلى الفهم الهيرمينوطيقي أن يكون في خدمة هذه البنية المماثلة التي ترعى بصورة منهجية التجربة التواصلية اليومية لفهم الذات والآخر".[3]

فالتأويل هو مجاوزة الوظيفة المباشرة للغة بغرض البحث عن الحقيقة الكامنة وسط حقائق متعددة، فكل نص في المحصلة نسيج من العلامات والرموز المنضوية داخل صيرورة قابلة للتأويل المجدد على الدوام[4]، فالتأويل إذن هو القدرة التي نكتسبها لما نتعلم التحكم في اللغة الطبيعية، وبالتالي فإنه يتعلق بالفعل، يعني تفهم المعنى القابل للتوصيل، وتوضيح هذا المعنى لما يكون التواصل مختلا[5].

خامسا. التواصل والعالم المعيش:

من أجل تعميق مفهوم النشاط التواصلي ودعمه نظريا لجأ هابرماس إلى إدخال مفهوم العالم المعيش، الذي يزود الفعل التواصلي بالمادة الأولية الطبيعية التي تمارس من خلالها العملية التواصلية، إنه يزودها باللغة المادية التي هي عند هابرماس قيام التواصل، فلا يمكن أن يحدث التفاهم إلاّ داخل حدود العالم المعيش ولا يمكن أن يولد إلا من رحمه ليكون بذلك العالم المعيش هو الوسيط الملائم الذي تتفاعل فيه الذوات مع بعضها البعض وتتضامن وتتكافل من أجل هدف واحد هو البحث عن الحقيقة[6].

ومعنى ذلك أن نظرية الفعل التواصلي تستمد شرعيتها من العالم المعيش باعتباره يشكل عملية التفاهم بين الذوات لأنه مكمّل لمفهوم العقل التواصلي فهو عبارة عن خلفية النشاط التواصلي[7]، فالعالم المعيش يشكل عند هابرماس السياق الذي تستند إليه سيرورة التفاهم وتتزود بموارده وعطاءاته، فهو الأفق والذخيرة التي تحتفل بالبداهات الثقافية والتي ينهل منها الذين يشاركون في التواصل[8]. وعليه نستطيع القول أن العالم المعيش يمثل أرضية الفعل التواصلي هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الفعل التواصلي يساهم في بناء العالم المعيش[9].

---

[1] إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة: محمد حسين غلوم، الكويت، ط1، 1999، ص448.

[2] جون ليشتة، خمسون مفكرا معاصرا، ص381.

[3] يورغن هابرماس، المعرفة والمصلحة، ص156.

[4] يورغن هابرماس، ايتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، ص9.

[5] J. Habermas, Op.cit, p239.

[6] يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، ص525.

[7] محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة هابرماس انموذجا، ص189.

[8] يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، ص475.

[9] الزواوي بغورة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة،ص210.

وقد بيّن هابرماس أن هذا العالم مرتبط بثلاث بنى أو ثلاث مكونات يسميها المكونات البنيوية للعالم المعيش، حيث يرى أن مساهمة الفعل التواصلي في بناء العالم من جهته يمكن رصدها من خلال تحديد ثلاث وظائف أساسية للفعل التواصلي وسط العالم المعيش الذي يقسّمه هابرماس إلى ثقافة، مجتمع، شخص إنساني.

يعرّف هابرماس الثقافة "أسمى ثقافة المعرفة المتاحة حيث تستمد الفاعلية التواصلية تفسيرات، يفترض توافقها في السعي إلى التفاهم حول أمر من الأمور الموجودة في العالم" فالثقافة بهذا المعنى تمثل الذخيرة المتوفرة للمعرفة التي يستمد منها المشاركون في التواصل تأويلاتهم حينما يتفاهمون حول شيء ما ينتمي إلى العالم.

وإلى جانب الثقافة يعمل النشاط التواصلي على تنسيق الأفعال وتنظيم أساليب الحوار والنقاش بين أفراد المجتمع الذي عرّفه هابرماس "أسمي مجتمعنا بالمعنى الضيق المكوّن لنظم الشرعية حيث تستمد ذوات الفاعلية التواصلية تضامنا يقوم على انتماءات فئات بعقد علاقات بين شخصية"[1]، ومعنى ذلك أن المجتمع هو تلك الأنظمة المشروعة التي ينظم بواسطتها المشاركون في التواصل انتماءهم حيث ينظمون بذلك تضامنهم[2].

أما فيما يتصل بالشخصية فهي لفظة تعني الكفاءات التي تكتسب الذات بفضلها ملكتي الكلام والعمل وبالتالي المشاركة بسيرورات تفاهم في سياق يعطى كل مرة وهي من جانب آخر كفاءات جعلها قادرة على تأكيد هويتها الخاصة في شروط تبادل مختلفة في كل مرة، فهي تلك الكفاءات التي بفضلها تكتسب الذات قدرتها على الكلام والفعل وبالتالي على المشاركة في عمليات التفاهم وعلى تأكيد هويتها الخاصة في شروط تبادل مختلفة في كل مرة[3].

والتداخل والتذوات الذي يتم في ظل الممارسة التواصلية هو الذي يشكل إعادة إنتاج واستمرار العناصر المكونة للعالم المعاش (الثقافة، المجتمع، الشخص) "إن هذا العالم المعاش المفسر بينذاتيا يشكل جوهر النشاط التواصلي... كأنه... أفق يتحرك في وسطه بآن معا المشاركون في التواصل، عندما يستندون موضوعيا إلى شيء ما في العالم"[4].

أولا. ايتيقا المناقشة:

إن فلسفة التواصل كما تصورها هابرماس لم تعد تبني انطلاقا من قيم علوية مستلهمة من عوالم الخير والشر كما بلورها الميتافيزيقيون، بل تبنى انطلاقا من مقاربة نسبية يسميها "ايتيقا المناقشة"، ايتيقا ليست متناقضة مع الأخلاق ولكنها متولدة عنها[5].
عنها[5].

وقبل الحديث عن أخلاقيات النقاش يجدر بنا الإشارة إلى أن هابرماس لم يأت بهذه النظرية من العدم بل لها جذور تمتد إلى كانط*، حيث تأثر بأخلاق هذا الأخير وهو نفسه يعترف بذلك كونه يمثل إحدى المرجعيات الكبرى للأخلاق النظرية في عصرنا، ويظهر

[1] يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، ص ص524-525.

[2] محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة هابرماس انموذجا ، ص ص189-190.

[3] يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، ص525.

[4] يورغن هابرماس، العلاقة بالعالم ومظاهر عقلانية الفعل في أربعة مفاهيم سوسيولوجية، ص22.

[5] جان مارك فيري، فلسفة التواصل، ص17.

ذلك عندما يقرّ بأن هناك عقلا عمليا متضمنا قاعدة التخلق، عقلا مستقلا استقلالا صارما عن العقل النظري فالعقل العملي المحض ينص على المبدأ القبلي للفاعلية الأخلاقية[1]، ومن خلال هذا تمكن كانط من فتح حقل الأخلاق النظرية المعاصرة، حيث أقرّ بما ينبغي فعله بصرف النظر عن كلّ ممارسة نظرية، وبهذه الفكرة عن العقل العملي تأثر كلّ من هابرماس وكارل أتو آبل "العقل العملي في النهاية هو ملكة المعرفة الإدراكية الأخلاقية دون تمثلات"[2]، لذا فإن المناقشة تتجلى في إهاب عقل عملي يفتح السبيل أمام ما يبدو صالحا للجميع، فالعقلانية الاتصالية هي حافز العقل العملي، إلا أن الأخلاق الكانطية لا تعدو أن تكون في نظرهما "مجرد إعلان نوايا واجبات صورية من طرف مونولوج أحادي لذات عارفة تناجي العالم المتعالي"[3].

وانطلاقا من ذلك، فقد توسع هابرماس في نظرية الفعل التواصلي واقترح نظرية في أخلاق المناقشة معتمدا في ذلك على مساهمة زميله كارل أتو آبل القائمة على تناولية متعالية[4]، فالمناقشة الحجاجية بحسب آيل ليست لعبة قوامها اللغة يكون الانخراط فيها من عدمه سيان، بل إنها تعدّ عماد النشاط التواصلي بما هو ماهية أساسية ذاتية وبينذواتية في الوقت ذاته، وهو ما ينطبق حصرا على أنواع النشاط التي كان قد حددها هابرماس كالنشاط المتعلق باستجلاء المعنى، أو ذلك الخاص بالبحث عن الحقيقة أو عن الانضباط، أو عن الصدق، هذه المتطلبات الأساسية للنشاط لابدّ أن تكون ترانسندنتالية كما يرى آبل وإلا ستختزل إلى مجرّد سوسيو ثقافية ذات وجود نسبوي لا يمكن الاطمئنان إليها قصد بعث تأسيس شكل إجرائي فلسفي نهائي.

إن ايتيقا المناقشة كما تصورها آبل لا تهدف إلى تأسيس معايير مؤسسة بطريقة قبلية، إنما تهدف عكس ذلك إلى تأسيس شكل إجرائي يستهل إنسانية من النقاش والحوار بغرض الوصول إلى نتائج محددة تلخص في قرارات مع ملاحظة في غاية الأهمية، وهي أن هذا النقاش نقاش حقيقي، واقعي يدور حول مصالح حقيقية، تمس حياة البشر كما هي متجلية في واقعهم الاجتماعين وهنا يكمن الخلاف بين نزعة هابرماس التواصلية والنزعة الترانسندانتالية عند آبل[5].

إن هابرماس يعتقد بأن الإنسان كائن ايتيقي تواصلي انطلاقا من أن التواصل بمختلف تجلياته المادية والدلالية هو رمز دال من رموز المرحلة المعاصرة[6]، فثمة نظام أخلاقي ضمني يحاول هابرماس الكشف عنه وهي الأخلاق الكلية أو الإجرائية الذي لا يهتم بتحليل مضمون المعايير بقدر توجهه واهتماماته بكيفية أو طريقة التوصل إليها، ويتم التوصل إلى تلك المعايير الأخلاقية انطلاقا من نقاش عقلاني، تبحث فيه نتائج كل معيار من المعايير الأخلاقية انطلاقا من خاصيته الكلية أي القول والرضا العام عن طريق الإقناع

---

* كانط إيمانويل: (1724-1804) فيلسوف مثالي ألماني ذو نزعة نقدية من أهم مؤلفاته نقد العقل المحض (بيتر بروكر وفرانز فيدمان، أطلس الفلسفة، ص138).

[1] جاكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، عويدات للنشر والطباعة، لبنان،ط1، 2001، ص23.

[2] يورغن هابرماس، ايتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة،ص65.

[3] حسن مصدق،ي وغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، ص143.

[4] الزواوي بغورة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، ص210.

[5] كارل أتو آبل،التفكير كهابرماز ضد هابرماز، ترجمة : عمر مهيبل ، منشورا ت الاختلاف ، الجزائر،2005، ص ص19-20.

[6] يورغن هابرماس، ايتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، ص80.

العقلي لا القوة والقهر[1]، ومعنى هذا أن هابرماس سعى إلى تحقيق عقلنة جديدة هي العقلانية التواصلية في مقابل العقلانية الأداتية، عقلنة تواصلية تضع على رأس أولوياتها ربط صلة الفرد الواحد بالآخر الشريك دون ضغوط أو إكراه بغية تشكيل لحمة النسيج الاجتماعي وفق نموذج ايتيقا المناقشة..

لهذا نجد هابرماس يدعو إلى ضرورة تأسيس أخلاق تواصلية تضبط تدخلات الناس وتعاملهم مع بعضهم حيث تنظم أساليب تبادلهم وهي أخلاقيات تجد في العقل مرتكزها ومرجعها، أي أنه يبني أخلاقيات التواصل على مبادئ عقلية تستمد بعض عناصرها من التداوليات الكلية لأن هذه التداوليات هي التي تسمح بالتفكير في الأساس الذي يجعل من التلفظات أو أفعال الكلام حقيقية أو دقيقة، فالانتقال من التداوليات إلى الأخلاقيات يكشف عن استمرار النشاط التواصلي بين الأفراد، الذي يكون من دون شك متحررا من كلّ زيف أو ضغط أو سيطرة[2] ومعناه أن صدق نية المتكلم عند الحديث والتحاور مع الآخر إلى الوصول إلى أفضل برهان لإنتاج حقيقة ما بطريقة سليمة، يعني حصول تواصل اجتماعي، وبالتالي الاستمرار في النشاط التواصلي.

تستند هذه النظرية أي نظرية أخلاقيات النقاش إلى مبدأ المحاججة أو البرهان كنقطة انطلاق أولانية لكل ما يمكن أن تفضي إليه، والمناقشة عند هابرماس هي الصورة الجديدة لأية بنية عقلية منطقية يمكنها الركون إلى المحاججة والبرهان لبلوغ صيغة تواصلية مثلى بين أفراد مجتمع معين، ومن ثمة إمكانية بعث قواعد ممكنة متينة لأي تواصل مستقبلي "فالمتحاورين يعتمدون في خطاباتهم المتبادلة على قوة البرهنة التي تتمتع بها الأفكار"[3]، وهذا يعني أن المحاوِر لكي يقنع المحاوَر لابد أن يدعم أفكاره بالبرهان الذي يجعله يتفق معه دون اللجوء إلى العنف والسيطرة وبذلك يتشكل النسيج التواصلي، ولذلك يخلص هابرماس إلى أن "الحقيقة تتحدد بالبرهنة"[4]، بالبرهنة"[4]، وما نفهمه من هذا القول أن البرهان هو معيار كل فكرة أو حقيقة تكون محل اتفاق وتفاهم بين الذوات.

ولذلك نجد هابرماس يلّح قبل كل شيء على ضرورة تكوين "أخلاق اتصالية" تنمو وتتطور بفضل تهيئة مجالات أصيلة وواسعة الحوارات مفتوحة، تساعد على نشوء خطاب عقلاني حرّ، حيث تقوم هذه الأخلاق على قاعدتين أساسيتين هما: القاعدة الديمقراطية ومضمونها "أي قاعدة أو معيار لا يملك الصلاحية، إلا إذا كان المعنيون به على اتفاق فيما بينهم أو يمكن لهم الاتفاق عليه بوصفهم شركاء في المحاثة العملية ويرمز لها بالحرف D، والقاعدة الكونية ومنطوقها "أن كل قاعدة لكي تكون صالحة يجب أن تستوفي الشروط سواءً من حيث نتائجها أو من حيث آثارها الجانبية، وأن تلقى بالقبول "من كطل الأشخاص الذين لهم علاقة بها"، وهو ما يسميه بالقاعدة الكونية ورمزها U [5] .

[1] إيان كريب، النظرية الجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ص351.

[2] محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة هابرماس انموذجا ، ص308.

[3] فريدة غيوة، تأملات في القضايا الانسانية المعاصرة والراهنة، ص117.

[4] محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة هابرماس انموذجا ، ص89.

[5]– الزواوي بغورة ، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة ، ص211.

خاتمة:

إن المشروع النقدي الهابرماسي للحداثة الغربية امتد إلى أبعد الحدود، أي البعد الإنساني، الذي حاول من خلاله تقديم نظرية اجتماعية نقدية تهدف إلى تحقيق التواصل عن طريق الحوار والمناقشة والتي تعطي للحداثة الغربية أوج تطورها، فالعقلانية التواصلية القائمة على نقد ما يتوجب نقده في مسار التقدم، هو البديل الأنجع الذي أعطاه هابرماس للحداثة الغربية، الذي يقوم على اللغة العادية كأساس للتواصل والمستوحاة من الوسط الاجتماعي والعالم المعيش.

فالعقلانية التواصلية هي نظرية جديدة ورؤية عالمية تهدف إلى الحوار، في مقابل العقلانية الأداتية التي تميزت بها الحداثة الأوربية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2012
2. أشرف منصور، نقد هابرماس لتيار ما بعد الحداثة، كتاب دوري، الكتاب 29، يصدر عن قضايا فكرية للنشر والتوزيع، مصر، 1999
3. إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس ، ترجمة : محمد حسين غلوم ، الكويت ،ط1، 1999.
4. بيتر كونزمان وفرانز فيدمان: أطلس الفلسفة ، ترجمة : جورج كتورة،ط2، المكتبة الشرقية،2007
5. جاكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، عويدات للنشر والطباعة، لبنان،ط1، 2001
6. جان مارك فيري، فلسفة التواصل، ترجمة وتقديم: عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، لبنان،ط1، 2004
7. جون ليشتة، خمسون مفكرا معاصرا، ترجمة فاتن البستاني ، بيت النهضة، لبنان، ط2008،1
8. حسن مصدق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، النظرية النقدية التواصلية، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2005
9. زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر، مصر.
10. الزواوي بغورة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2007
11. عادل مصطفى، فهم الفهم، مدخل إلى الهيرمينوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير، دار النهضة العربية، ط1، لبنان، 2003
12. عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية، إشكالية التكون والتمركز حول الذات ، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1997،1
13. عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي في القرن العشرين ،منشأة المعارف،ط1، 2002.
14. عمر مهيبل، إشكالية التواصل في الفلسفة العربية المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 ،2005
15. فريدة غيوة، تأملات في القضايا الإنسانية المعاصرة والراهنة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة،ط1، 2004.
16. فؤاد كامل : الموسوعة الفلسفية المختصرة ، دار القلم ، لبنان، ط1، 1999.
17. كارل أتو آبل، التفكير مع هابرماز ضد هابرماز، ترجمة وتقديم، عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1، 2005

18. كارل أتو آبل،التفكير كهابرماز ضد هابرماز، ترجمة : عمر مهيبل ، منشورا ت الاختلاف ، الجزائر ،2005
19. هابرماس وآخرون، مسارات فلسفية، ترجمة محمد ميلاد، دار الحوار، سوريا، ط1، 2004
20. محمد عابد الجابري، نظريات التواصل،دار الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت،ط1 ، 2010.
21. محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة ، هابرماس نموذجا ، افريقيا الشرق ، المغرب، ط2 .
22. يورغن هابرماس: العلاقة بالعالم ومظاهر عقلانية الفعل في أربعة مفاهيم سوسيولوجية للفعل، ترجمة جورج أبي صالح، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 46، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1987
23. يورغن هابرماس، الحداثة مشروع ناقص، ترجمة: بسام البركة، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد39، مركز الانماء القومي، بيروت ،1996
24. يورغن هابرماس، العلم والتقنية كإيديولوجيا، ترجمة: حسن قص، منشورات الجمل، سوريا، ط1، 2003
25. يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، ترجمة: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق.
26. يورغن هابرماس، ايتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، ترجمة وتقديم: عمر مهيبل، ط1، منشورات الاختلاف، المغرب، 2010
27. J. Habermas, Logique des sciences sociales et autres essais, trad. Rainer Rochlitz, puf, 6ème édition, Paris, 1998

28. إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس
29. زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، مصر، ط1، 1998.
30. عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي في القرن العشرين ،منشأة المعارف،ط1
31. فؤاد كامل، مرجع سابق، ص238).
32. مجموعة من الكتاب، مسارات فلسفية، ترجمة محمد ميلاد، دار الحوار، سوريا، ط1، 2004